بسم الله الرحمن الرحيم

لماذا الجهاد

تأليف
عمر بن محمود أبو عمر
أبو قتادة الفلسطيني

لقد كتب الله في الأزل أن يخلقَ الإنسان خلقاً سوِيّاً في أحسن خِلقةٍ وتكوين، قال الله تعالى: {لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويمٍ}، فأبدعه أيّما إبداع، ثمَّ جعله مناط التكليف وحَمْلِ الأمانة، قال تعالى: { إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبينَ أن يحملنها وأشفقنَ منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلوماً جهولاً}. وليس الظلم والجهل بسبب حملها، ولكنّه بجهله في قيمة هذه الأمانة، وبظلمه لحقّها.

وأكرم الله هذا المخلوق بأن سخّر له كلّ شيءٍ خلقه من سموات وأرض، قال تعالى: { ألم تروا أنّ الله سخّر لكم ما في السموات والأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنة}.

وقال تعالى: {وسخّر لكم ما في السموات والأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون}، فقد خلق الله كلّ شيء خدمةً للإنسان، وجعل اللهُ الإنسانَ له وحده من أجل عبادته، قال تعالى: {وما خلقتُ الجنّ والإنسَ إلاّ ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إنّ الله هو الرزّاق ذو القوّة المتين}، وقد أخذ الله على الإنسان العهود والمواثيق أن لا يعبد إلاّ الله تعالى، قال ربّنا جلّ في عُلاه: { وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربّكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين، أو تقولوا إنّما أشرك آباؤنا من قبلُ وكنّا ذرّيةً من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون}.

وروى الإمامان البخاري ومسلم عن أنس بن مالك عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: (يقالُ للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنتَ مفتدياً به؟ قال فيقول: نعم. فيقول: قد أردّتُ منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشركَ بي شيئاً فأبيت إلاّ أن تشرك بي. وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: إنّ الله تعالى أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة، فأخرج من صلبه كلّ ذرّيّة ذرأها فنثرها بين يديه ثمّ كلّمهم قبلاً، قال تعالى { ألست بربّكم قالوا بلى شهدنا})[1].

وقد قدّر الله تعالى أن ينقسم البشر في عبوديّتهم له إلى فريقين: فريقٍ أوفياء لهذه العبوديّة، وفريقٍ آخر سينكرونها

[1] صحيح من قول ابن عبّاس كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى .

ويتنكّبون عن صراطها، ولتذكير الناس بالميثاق أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، قال تعالى: {رسلاً مبشّرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً}.
وقال أبيّ بن كعب، في تفسير آية الميثاق السابقة : (يقول الله تعالى: فإنّي أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، إعلموا أنّه لا إله غيري ولا ربّ غيري ولا تشركوا بي شيئاً، وإنّي سأرسل إليكم رسلاً ليذكّروكم بعهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبي. قالوا: نشهد إنّك ربّنا وإلهنا، لا ربّ لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك، فاقرّوا له يومئذٍ بالطاعة، ورفع أباهم آدم فنظر إليهم فرأى فيهم الغنيّ والفقير وحسن الصورة ودون ذلك، فقال آدم: يا ربّ لو سوّيت بين عبادك. قال: إنّي أحببت أن أشكر، ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج، عليهم النور)[2].

وقد جعل الله تعالى للطائع مستقرّاً هي جنّته، وللذين رفضوا مستقرّاً هي النار، قال تعالى: {للذين استجابوا لربّهم الحسنى، والذين لم يستجيبوا لو أنّ لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنّم وبئس المهاد}.

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : (يقول الله تعالى لأهونِ أهل النار عذاباً يوم القيامة: لو أنّ لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقول: أردّت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلاّ أن تشرك بي).

قال تعالى: {أفمن يعلم أنّما أُنزل إليك من ربّك الحقّ كمن هو أعمى إنّما يتذكّر أولو الألباب، الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربّهم ويخافون سوء الحساب، والذين صبروا ابتغاء وجه ربّهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا ممّا رزقناهم سرّاً وعلانيةً ويدرأون بالحسنة السيّئة أولئك لهم عقبى الدار، جنّات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرّياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار}.

وهكذا ستكون نهاية هذا الإنسان بقسميه.

---

[2] رواه عبدالله في مسند أبيه وصحّحه الحاكم وهو كما قال .

مهمّة الأنبياء وأتباعهم

قال تعالى: {شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والـذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيمـوا الـدين ولا تتفرّقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه}.

فقد أمر الله الأنبياء بإقامة الدين وهو العمل به في أنفسهم وفي الناس، ولذلك أمـرهم بالـدعوة والتبـيين والنـذارة فقـال سـبحانه وتعالى: {رسلاً مبشّرين ومنـذرين}، فمهمّة الأنبيـاء هداية الخلق وتعليمهم ما يحبّه ربّنا ويغضبه، قال تعالى: {إنّما أنت منذرٌ ولكـلّ قوم هاد}.

وقـال تعـالى: {إنّك لتهـدي إلى صـراطٍ مسـتقيم} وهـذه هداية الدعوة والدلالة والإرشـاد، وأنـزل معهم الكتب وعلمهم الحكمـة، قـال تعـالى: {وإذ أخذ الله ميثـاق النبـيين لما آتيتكم من كتـاب وحكمة}.

وقـــذف الله في قلـــوب الأنبيـــاء الرحمة على الخلق والرغبة الشديدة في هدايتهم كما قـال تعـالى: {فلعلّك بـاخعٌ نفسك على آثـارهم إن لم يؤمنـوا بهـذا الحـديث أسـفا}، وقد سـمّى الله نبيّه محمّداً بالرؤوف الرحيم، قال تعالى: {بالمؤمنين رؤوف رحيم}.

وكـــان آخر الأنبيـــاء هو نبيّنا محمّد صـلى الله عليه وسـلم، وهو خاتمهم. قال تعـالى: {ما كـان محمّـدٌ أبا أحـدٍ من رجـالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيّين}.

وقال صلى الله عليه وسلم : مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجـلٍ بـنى داراً فأكملها وأحسـنها إلاّ موضع لبنـة، فجعل النـاس يـدخلونها يتعجّبون ويقولون: لولا موضع اللبنة. رواه البخـاري، وزاد مسـلم: قال رسول الله : فأنا موضع اللبنة، جئت فختمت الأنبياء.

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريـرة قـال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : (نحن الآخرون ونحن السابقون يـوم القيامـــة، بيد أنّ كـــلّ أمّة أوتيت الكتـــاب من قبلنا وأوتينـــاه من بعدهم).

وقد أُرسـلَ محمّـدٌ صـلى الله عليه وسـلم إلى جميع الخلـق، من أبيضٍ وأسودٍ وأحمر، وإلى العرب والعجم، وإلى الوثنيين واليهـود والنصـارى، قـال تعـالى: {وما أرسـلناك إلاّ كافّة للنـاس بشـيراً ونذيرا}.

وقال عليه الصلاة والسلام: (والـذي نفس محمّد بيـده، لا يسـمع بي أحدٌ من هـذه الأمّة يهـوديٌّ ولا نصـرانيٌّ ثمّ يمـوت ولم يـؤمن بالذي أرسِلتُ به إلاّ كان من أهل النار)[3]. وقال صـلى الله عليه وسلم، فيه كذلك: (وكان الرسول يبعث في قومه خاصّـة وبُعِثتُ إلى الناس عامّة).

[3] رواه مسلم .

الطائفة المنصورة وظهور الدين

وقد كتب الله تعالى لدينه الظهور والرفعة والغلبة بالحجّة والبيان وبالسيف والسنان، قال تعالى: {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون}، وقد جاء صلى الله عليه وسلم ابتلاءً للناس، قال : إنّي مبتليك ومُبتلٍ بك [4].

ومن أجل إقامة الدين وحصول الرفعة والغلبة أرسل الله مع نبيّه الكتاب والميزان والحديد. قال تعالى: {لقد أرسلنا رُسُلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأسٌ شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصُرُه ورسُله بالغيب، إن الله لقويٌّ عزيز}.

فكتابه يهدي إلى الحقّ، والحديد يُقوِّم من خرج عنه، والناس لا يُصلِحُهم إلاّ هذا، ومتى ضعف في الناس أحدُ الأمرين -الكتاب والحديد- حصل الفساد والخراب، قاصلى الله عليه وسلم : بُعِثتُ بالسيف بين يدي الساعة حتّى يُعبَدَ الله وحده.

فكان هذا ميراثه في أمّته: الكتاب الهادي والسيف المانع المقوّم، فكان الناس قسمين: علماء وأهل جهاد، وقد جمع الله هاتين الفضيلتين لخير الخلق بعد الأنبياء وهم الصحابة، قال تعالى: {محمّد رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفّار رحماءُ بينهم تراهم ركّعاً سجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة، ومثلهم في الإنجيل كزرعٍ أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفّار}.

وقال عليه الصلاة والسلام : (إنّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنّما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ عظيم وافر) [5].

فكما أمر الله تعالى نبيّه بالاقتداء في الأنبياء كما قال تعالى {أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده}، فكذلك أمر الله أمّة محمّد صلى الله عليه وسلم أن تقتدي به، فأسرع الناسُ في التسابق في أخذ ميراثه وإقامته في أنفسهم وفي الناس.

فمن أقبل على دين الله يريده ويبتغيه علّموه وفقّهوه كما قال عليه الصلاة والسلام : نضّر الله امرءً سمع مقالتي فوعاها وأدّاها كما سمعها [6]، ومن أعرض عنه قاتلوه حتّى يخضع لحكم الله تعالى، كما قال تعالى: {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحقّ من الذين أوتوا الكتاب حتّى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون}.

[4] رواه مسلم .

[5] رواه الترمذيّ وهو حسن .

[6] رواه الترمذي وغيره .

وهكذا كان دور أتباع محمّد، وهذا كان عملهم، هداية الخلق إلى الحقّ وتقويم من أعرض وتعدّى، لا عمل لهم في حقيقة الأمر إلاّ هذا، فلمّا توفيّ رسول الله انتشر الصحابة في الآفاق فخرج جيش أسامة لقتال الروم، وخرجت جموع الصحابة لقتال من ارتدّ من العرب عن الإسلام، ثمّ حملوا هذا الدين للتابعين ثمّ جيلاً بعد جيل.

قال عليه الصلاة والسلام : (يحمل هذا العلم من كلّ خَلَف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)[7]، فكان مداد العلماء ودماء الشهداء هما أحبّ ما يتقرّب به إلى الله تعالى، مداد العلماء لهداية الخلق وتعليمهم السنّة وكشف البدعة ونشر الحقّ، ودماء الشهداء من أجل نشر التنزيل وحفظ التأويل، وكلما أظهر الناس بدعة قام لها العلماء حقّ القيام فأزالوا عنها زيفها ونفّروا الناس منها، وكلما جهل الناس سنّة أظهروها وعلّموها الأمّة، وكلما خرج عن هذه الأمّة من داخلها من يريد لها شرّاً أو جاء من خارجها ليستبيح بيضتها قاموا له بالسيف حتّى يكسروا له قرنه ويردّوه على عقبيه ويدخلوه جحره.

كذا فعل الصدّيق مع المرتدّين، وكذا فعل عليّ بن أبي طالب مع الخوارج إذ أرسل لهم عبد الله بن عبّاس فناظرهم حتى ردّ أكثرهم ثمّ قاتلهم حتّى قتل منهم مقتلةً عظيمة، وهكذا فعل عمر بن عبدالعزيز معهم، وقد كتب الله تعالى بقاء طائفة منصورة قائمة بالحقّ والهدى وحاملةً للسيف والسنان إلى قيام الساعة.

قال عليه الصلاة والسلام : (لا تزال طائفة من أمّتي يقاتلون على الحقّ ظاهرين إلى يوم القيامة). قال: (فينزل عيسى بن مريم عليه السلام، فيقول إمامهم: تعالى صلّ لنا، فيقول: لا، إنّ بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمّة). رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله، وفيه عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله : (لا تزال عصابة من أمّتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوّهم، لا يضرّهم من خالفهم حتّى تأتي الساعة وهم على ذلك).

وهؤلاء في كلّ وقت غرباء.

وروى الترمذي في سننه وقال: حسن صحيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنّ الدين بدا غريباً، ويرجع غريباً، فطوبى للغرباء، الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنّتي). وفي رواية أخرى عند غيره قال عنهم: (الفرّارون بدينهم يجتمعون إلى عيسى عليه السلام)، وفي رواية: (ناس صالحون قليل في ناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممّن يطيعهم).

فورّاث النبيّ صنفان:

علماء دعاة إلى الحقّ والهدى، لا يكتمون الناس شيئاً كما قال تعالى: {وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيّننّه للناس ولا

---

[7] رواه جماعة من الصحابة وصحّحه الإمام أحمد وابن القيّم .

تكتمونــه}، وقد أنــذر من علم علمــاً أوجبه الله على النــاس ثمّ كتمه بــأن يلجمه يــوم القيامة بلجــام من نــار كما في الحــديث الصحيح.

وصنفٌ آخر هم الذين يحمــون هـذا العلم ويقيمونه في النـاس إذا ملكتهم الأهواء وهم المجاهدون في سبيل الله، وخير الأمـرين هو من جمع بين الفضلين، وهذه هي صـفة الطائفة المنصـورة، فهي طائفة علم وجهاد.
قال عليه الصلاة والسلام : (ما من نـبيّ بعثه الله في أمّة قبلي إلا كان له من أمّته حواريّون وأصحاب يأخـذون بسـنّته ويقتـدون بـأمره، ثمّ إنها تخلف من بعـدهم خلـوف يقولـون ما لا يفعلـون، ويفعلــون ما لا يــؤمرون، فمن جاهــدهم بيــده فهو مــؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن) [8] .

وكان العلماء على الدوام هم حجّة الله على هذه الأمّة، كما كــان شأن الإمام أحمد رحمه الله تعالى في فتنة خلق القرآن، إذ وقف لهــذه الفتنة الــتي كــادت تعصف بالأمّة وتخرجها إلى الشــرك والكفـران موقف الأسد الـذي يحمي ذمامه فنصـره الله وأيّـده، وكما هو موقف علمـــاء المالكيّة من أتبـــاع ســـحنون في فتنة الباطنيّة العبيدية حين قاتلوهم وكشفوا زندقتهم.

قال الرعينيّ في كتابه: (أجمع علماء القيروان: أبو محمّد بن أبي زيد، وأبو الحسن القابسيّ، وأبو القاسم بن شبلون، وأبو علي بن خلدون وأبو محمد الطبيقي وأبو بكر بن عذرة: أنّ حال بني عبيد، حال المرتدّين والزنادقة، فحال المرتـدّين بما أظهـروه من خلاف الشـريعة فلا يورثـون بالإجمـاع، وحـال الزنادقـة: بما أخفـوه من التعطيل، فيقتلون بالزندقة) [9] .

وخرج العلماء لقتالهم.

قــال أبو الفــرج ابن الجــوزي: (أقــام جــوهر - الصــقلي نــائب العبيـــديين في مصر - القائد لأبي تميم صــــاحب مصر أبا بكر النابلسي - الإمام القدوة - وقـال لـه: بلغنا أنّك قلت: إذا كـان مع الرجل عشــرة أســهم، وجب أن يــرمي في الــروم ســهماً وفينا تسعة؟ قـال: ما قلت هـذا، بل قلت: إذا كـان معه عشـرة أسـهم وجب أن يـرميكم بتسـعة وأن يـرمي العاشر فيكم أيضـاً، فـإنّكم غيّرتم الملّة، وقتلتم الصالحين، وادّعيتم نـور الإلهيـة، فشـهره ثمّ ضربه ثمّ أمر يهوديّاً فسلخه) [10] .

وقال الـذهبيّ: (وقد أجمع علمـاء المغـرب على محاربة آل عبيد لما شهروه من الكفر الصـراح الـذي لا حيلة فيـه. وخطب الإمـام أحمد بن أبي وليد النـاس قـائلاً : جاهـدوا من كفر بالله وزعم أنّه ربٌّ من دون اللــه، وغيّر أحكــام الله وســبّ نبيّه صلى الله عليه وسـلم وأصـحاب نبيّــه، فبكى النـاس بكـاءً شـديداً. وركب ربيع القطان فرساً ملبساً، وفي عنقه المصحف وحوله جمع كبــير وهو يتلو آيات جهاد الكفرة فاستشهد هو وخلق من الناس).

---

[8] رواه مسلم من حديث عبدالله بن مسعود .
[9] ترتيب المدارك، ج 7/247 .
[10] أنظر سير أعلام النبلاء، 7/148 .

وهكذا كان شأن الإمام أحمد بن تيمية في بيانه للحق والهدى والسنة، فكشف أهل البدع من متكلمين وفلاسفة وصوفيّة، وجلى الحق الذي غشيته زبالات الأهواء أحسن بيان وأجلاه، ثمّ قام مقام المجاهدين فقاتل التتار وحرّض الناس على قتالهم وحضّ ملوك الإسلام عليهم وخوّفهم إن لم يقوموا بواجب الجهاد ضدّ التتار أنّه ومن معه من المسلمين سيبدلونهم ويختارون ملوكاً عليهم غيرهم، ولما التبس على الناس أمر قتالهم وفي أيّ نوع من الأنواع يدخل قتالهم، بيّن أنّ قتالهم هو قتال من امتنع عن شرائع الإسلام، فعاد الحقّ أبلجاً وكشف الله الغمّة وهزم التتار في معركة شقحب (مرج الصفر).
ثمّ ما كان من شأن الشيخ محمّد بن عبدالوهّاب رحمه الله تعالى حين دعا إلى التوحيد والسنّة فعُودي ورُمي عن قوس واحدة.

وهكذا هي سلسلة الدعوة والجهاد، حلقاتها تمتدّ من زمن إلى زمن، لا تنقطع ولا تتوقف حتّى يومنا هذا.

إذا علمت هذا وتبيّن لك على وجه صحيح رأيت الواجب الملقى على عاتقك، وبحثت عن هذه الطائفة التي يمتدّ تاريخها من يومنا هذا إلى النبيّ، وهي الطائفة التي تدعو الناس إلى التوحيد والسنّة، وتكشف للناس الشرك والبدعة، وتقاتل في سبيل ذلك حتّى تقوم الساعة.

والآن تسأل من نحن ولماذا الجهاد؟ لقد نشأنا فوجدنا علماً مفقوداً، وأمّة جاهلة، ومعاصي متفشيّة، وحقوقاً مهدورة، وأرضاً مغصوبة، وحكاماً مرتدّين. فما هو الواجب الملقى على عاتق من علمه الله وفقّهه؟

لقد قيّض الله في زماننا أمراً عظيماً هو انتشار كتب السلف، وقد مرّ وقت طويل كان الناس إلاّ قلّة قليلة لا يعرفون من كتب العقائد إلاّ كتب أهل الكلام، فلا يعرفون إلاّ العقائد النسفية وشرح جوهرة التوحيد وأمثالهما، ولا يقرؤون الفقه إلاّ من كتب المتون ولا يعرفون إلاّ التقليد، ولا يعرفون كتب التربية إلاّ كتب التربية الصوفية كالرسالة القشيرية واللمع للطوسي وإحياء علوم الدين للغزالي.

ثمّ برحمة من الله تعالى أن أقبل الناس على طباعة وتحقيق كتب السلف، فطبعت مؤلّفات ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، وطبعت كتب السنّة والتوحيد كالسنّة لعبد الله بن الإمام أحمد والسنّة لابن أبي عاصم والتوحيد لابن خزيمة والشريعة للآجري، ثمّ تتابع السيل المبارك، فأقبل الناس على دراسة هذه الكتب ثمّ بالبحث عن بقايا العلماء الذين هم همزة الوصل للطائفة المنصورة الدائمة الباقية، وبدؤوا يحاولون فهم واقعهم على ضوء فهم أئمّة هذه الطائفة بدءاً من أبي بكر الصدّيق إلى قول أيّ عالم أصاب الحقّ والهداية وارتبط بالكتاب والسنّة.

فكان ما خرجوا به أنّ الأمّة غيّرت وبدّلت وأصابها الجهل في كلّ جوانب هذا الدين، وبسبب جهلها وقعت في المعاصي والذنوب واقترفت البدع، بل إنّ بعضها لحق بالمشركين واتّبع دينهم، ثمّ نظروا فوجدوا أنّه قد استولى على أمرهم وقيادتهم حكّام باعوا دينهم للشيطان ودخلوا في دين المشركين، وسرقوا مقدّراتها من خيرات الله فيها، ولم يجدوا طريقاً للخير إلاّ أغلقوه، فعطّلوا المساجد ودور العلم ولاحقوا العلماء والدعاة إلى الله، ولم يجدوا طريقاً للشرّ إلاّ سلكوه، فنشروا دين الردّة وحسّنوا للناس الباطل والكفر من علمانية وديمقراطية وشيوعية واشتراكية، وأوجبوا على الناس المعاصي فأقاموا مصارف الربا وضيّقوا على الناس سبل الحياة حتّى لا يدخلوا إلاّ من بابه، ونشروا الرذيلة مع الفقر حتّى لا يكون للشباب إلاّ طريق الخبث، ثمّ لم يجدوا منفذاً للشرّ إلاّ وسهّلوه وقرّبوه للناس، والأمّة ترى الأسماء هي الأسماء التي عهدتها في تاريخها وأمّا الحقائق فتخالف ذلك كلّه، ثمّ وجد من حسّن هذا الأمر وأفرغ وسعه من أجل إسباغ الشرعيّة عليه وساعدهم في هذا قلب الأسماء، فالزندقة عندهم هي الحرّية، والدخول في دين الطاغوت ديمقراطيّة، وموالاة الكافرين سلاماً ووحدة وطنيّة، وأمّا شرع الله ودينه فهو التخلّف والرجوع إلى الوراء إلى زمن البعير والسيف والرمح، وسمّوا زنا المرأة فنّاً وحرّية اختيار، وسمّوا بيع الأوطان والديار سلاماً وحسن جوار.

هـذا أبصـره الشـباب المقبل على ربّه ودينـه، فعلم من دينه ما علم، فحمل كلمة الحـقّ وقـذفها في صـدور الأعـداء والمنـاوئين وبدأ يـدعو إلى الله ويكشف للنـاس حقيقة ما هم عليه والـواجب الملقى على عاتقهم، وكـان جمـاع ذلك كله في كلمـتين: الـدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله.

الـدعوة إلى اللـه: وفيها تعليم النـاس ما جهلـوه من التوحيد والسنّة، وفيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأمّا الجهاد في سبيل الله تعالى : فهو ضدّ المرتدّين قبل غيرهم، لأنّ رأس المال مقـدّم على الـربح وتحقيق الزيـادة، أمّا الـدليل على ردّة هـؤلاء الحكّـام وردّة طـوائفهم فهو بسـبب تبديلهم شريعة الرحمن وموالاتهم لليهود والنصارى والشـيوعيين، ومعاداتهم المؤمـنين والموحّـدين وأتبـاع الرسـل، ومن فعل هـذه الأفاعيل فهو بإجمـاع الأمّة المسـلمة الـتي خلت أنّه كـافر مرتـدّ، وإليك الـدليل ردّة من بـدّل شـريعة الـرحمن وحكم بشـريعة الشيطان، يقـول شيخ الإسـلام ابن تيميـة: "والإنسـان مـتى حلّل الحرام المجمع عليه أو حرّم الحلال المجمع عليه أو بـدّل الشـرع المجمع عليه كان كافراً باتّفاق الفقهاء".

والعبودية تقوم على الطاعة وامتثال الأمـر، ولا تصحّ عبوديّة دون امتثال أمر السـيّد الآمر وهو المعبـود، ولـذلك فكـلّ من اتّخذ من نفسه آمراً ناهياً حاكماً على غيره من خلال التشريع والذي معناه تسـمية الأشـياء ووصـفها بالحـلّ والحرمة فقد جعل نفسه إلهـاً مطاعاً معبـوداً يُعبَد الأدلة من القـرآن والسـنّة إنّ ممّا اتّفق عليه جميع الأنبيـاء والمرسـلين هو الـدعوة إلى توحيد الله في العبـادة والقصد والطلب، قال تعالى: {ولقد بعثنا في كـلّ أمّة رسـولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}، وكـان ممّا يـدخل في عبـادة الله تعـالى، بل هو قاعـدة العبـادة وأصـلها، هو إفـراد الله تعـالى في الطاعة والامتثـال، فالله هو الحَكَمُ وله الحُكم. قـال تعـالى: {إن الحكمُ إلاّ لله}. وقال تعـالى: {ألا له الحكم}. وقـال تعـالى: {ألا له الخلق والأمـر}. وقـال تعـالى: {وما اختلفتم فيه من شـيء فحكمه إلى الله}. وقال تعالى: {ولا يشرك في حكمه أحداً}.

فهذه الآيات تبيّن بوضوح وجلاء أنّ حـقّ الحكم هو لله وحـده، بل إنّ معنى الإله هو المعبـود، والعبودية تقـوم على الطاعة وامتثـال الأمر، ولا تصحّ عبوديّة دون امتثال أمر السيّد الآمر وهو المعبود.

ولذلك فكلّ من اتّخذ من نفسه آمراً ناهياً حاكمـاً على غـيره من خلال التشـريع والـذي معنـاه تسـمية الأشـياء ووصـفها بالحـلّ والحرمة فقد جعل نفسه إلهاً مطاعاً معبـوداً يُعبَـد، قـال تعـالى: {أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يـأذن به اللـه}. فقد سـمّى الله المشـرّع شـريكاً وسـمّى ما شـرّع دينـاً، وأصل كلمة الدين تعني الخضـوع، وهكـذا حـال المطيع لشـرع غـيره فإنّما هو خاضع لـه، وهو معـنى الـدين، فهـذه الآية جامعة لهـذا البـاب وهو تسمية المشرّع إلهاً، وتسمية الشرع الذي شـرعه دينـاً، وتسـمية الطائع له مشركاً، وقال تعالى: {إتّخذوا أحبارهم ورهبـانهم أربابـاً من دون الله}.

وقد فسّـر النـبيّ صـلى الله عليه وسـلم ربـوبيّتهم على أتبـاعهم بطاعة الاتباع لهم في ما أحلّوا وحرّمـوا، فعن عـديّ بن حـاتم أنّه سـمع النـبيّ صـلى الله عليه وسـلميقرأ هـذه الآيـة: { إتّخـذوا

أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمِروا إلاّ ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلاّ هو سبحانه عمّا يشركون}، فقال: إنّا لسنا نعبدهم، فقال: (أليس يحرّمون ما أحلّ الله فتحرّمونه، ويحلون ما حرّم الله فتحلونه؟)، فقال: بلى. فقال: فتلك عبادتهم[11].

وقد قرّر الله في كتابه كفرَ من حكم بغير كتابه، فقال سبحانه: {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون}.

وسمّى الله من تحاكم الناس إليه من غير خضوع لأحكام الكتاب والسنّة طاغوتاً. قال تعالى: {يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً}، وقال الشيخ الإمام محمد الأمين الشنقيطي في أضواء البيان: (كلّ تحاكم إلى غير شرع الله فهو تحاكم إلى الطاغوت)[12].

ومثل الآية التي تقدّمت: {أم لهم شركاء...} قوله تعالى: {إنِ الحكم إلاّ لله أمر ألا تعبدوا إلاّ إيّاه ذلك الدين القيّم}. فقد سمّى الله الحكم عبادة، وسمّى ما يُحكم به ديناً، فمن حكم الله في كلّ أمر فقد عبده واتّخذ دينه ديناً، ومن حكم الطاغوت في أيّ أمر فقد عبده واتّخذ حكمه ديناً، وقد سمّى الله تعالى شرع الطواغيت ديناً، كما سمّى شرعه ديناً فقال تعالى عن يوسف: {كذلك كدنا ليوسف، ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلاّ أن يشاء الله}، فقد سمّى شرعَ الملك وحكمَه وملكه ديناً.

---

[11] رواه الترمذيّ وحسّنه .
[12] 7/65 .

أقوال العلماء في حكم المبدّلين للشريعة

وقد تكلّم علماؤنا في كفر هــذه الأديــان والتشــريعات الباطلة وحكموا على من شرعها وقام عليها بالكفر والردّة:

قال ابن حزم رحمه الله تعـالى: (من حكم بحكم الإنجيل ممّا لم يـأت بـالنص عليه وحيٌ في شـريعة الإسـلام فإنّه كـافر مشـرك خارج عن الإسلام)[13].

وقـال ابن تيمية رحمه الله تعـالى: (معلـوم بالاضـطرار من دين المسلمين وباتّفاق جميع المسـلمين أنّ من سـوّغ اتّبـاع غـير دين الإسلام أو اتّباع شريعة غير شريعة محمّد صـلى الله عليه وسـلم فهو كافر[14]. ويقول كذلك: الشرع المنزّل من عند الله تعالى وهو الكتاب والسنّة الذي بعث الله به رسـوله فـإنّ هـذا الشـرع ليس لأحد من الخلق الخروج عنه، ولا يخرج عنه إلاّ كافر)[15].

ويقول: (والإنسان متى حلّل الحرام المجمع عليه أو حرّم الحلال المجمع عليه أو بـدّل الشـرع المجمع عليه كـان كـافراً باتّفـاق الفقهاء)[16].

ويقـول ابن كثـير رحمه الله تعـالى: (فمن تـرك الشـرع المحكم المـنزل على محمّد بن عبد الله خـاتم الأنبيـاء وتحـاكم إلى غـيره من الشرائع المنسوخة كفر)[17].

ويقول عبـداللطيف بن عبـدالرحمن آل الشـيخ: (من تحـاكم إلى غير كتاب الله وسنّة رسوله (بعد التعريف فهو كافر، قال تعالى: {ومن لم يحكم بما أنــزل الله فأولئك هم الكــافرون}، وقــال تعالى: {أفغير الله يبغون...})[18].

وقال عبد الله بن حميد: (ومن أصدر تشريعاً عامّاً ملزماً للنـاس يتعارض مع حكم الله فهذا يخرج من الملّة كافراً)[19].

ويقــول محمّد بن إبــراهيم آل الشــيخ: (إنّ من الكفر الأكــبر المسـتبين تنزيل القـانون اللعين منزلة ما نـزل به الـروح الأمين على قلب محمّد صــلى الله عليه وســلم ليكــون من المنــذرين بلسان عـربيّ مـبين، في الحكم به بين العـالمين، والـرد إليه عند تنـازع المتنـازعين مناقضة ومعانـدة لقـول الله عـزّ وجـلّ: {فـإن تنـازعتم في شـيء فـردّوه إلى الله والرسـول إن كنتم تؤمنـون بالله واليــوم الآخــر، ذلك خــيرٌ وأحسن تــأويلاً}. وقد نفى الله

[13] الاحكام في أصول الأحكام، 5/153 .
[14] مجموع الفتاوى، 28/524 .
[15] مجموع الفتاوى، 11/262 .
[16] مجموع الفتاوى، 3/267 .
[17] البداية والنهاية، 13/119 .
[18] الدرر السنّية 8/241 .
[19] أهمّية الجهاد، ص196 .

سبحانه وتعالى الإيمان عن من لم يحكّموا النبيّ صلى الله عليه وسلم فيما شجر بينهم نفياً مؤكّداً بتكرار أداة النفي وبالقسم، قال تعالى: {فلا وربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليماً})[20] .

وقد ذكر فيها أنّ من أعظم أنواع الكفر الأكبر في هذا الباب هو ما وقع فيه المرتدّون المعاصرون، فقال: (الخامس: وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه ومشاقّة لله ولرسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشرعيّة إعداداً وإمداداً وإرصاداً وتأصيلاً وتفريعاً وتشكيلاً وتنويعاً وحكماً وإلزاماً ومراجع ومستندات، فكما أنّ للمحاكم الشرعيّة مراجع ومستندات مرجعها كلّها إلى كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلهذه المحاكم مراجع هي: القانون الملفّق وشرائع شتّى، وقوانين كثيرة كالقانون الفرنسي، والقانون الأمريكي والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض البدعيّين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك.. فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهيّأة مكمّلة مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسراب إثر أسراب، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنّة والكتاب من أحكام ذلك القانون وتلزمهم وتقرّهم عليه، وتحتّمه عليهم، فأيّ كفر فوق هذا الكفر، وأيّ مناقضة للشهادة بأنّ محمّداً رسول الله بعد هذه المناقضة؟).

وقال الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان: (والعجب ممّن يحكّم غير تشريع الله ثمّ يدّعي الإسلام كما قال تعالى: {ألم تر إلى الذين يزعمون أنّهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلّهم ضلالاً بعيداً}، وقال: {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون}، وقال: {أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصّلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنّه منزّل من ربّك بالحقّ فلا تكوننّ من الممترين})[21] .

ويقول رحمه الله إنّ متّبعي أحكام المشرّعين غير ما شرعه الله أنّهم مشركون بالله[22] .

ويقول الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى: (هذه القوانين التي فرضها على المسلمين أعداء الإسلام السافرو العداوة هي في حقيقتها دينٌ آخر جعلوه ديناً للمسلمين بدلاً من دينهم النقيّ السامي، لأنهم أوجبوا عليهم طاعتها، وغرسوا في قلوبهم حبّها وتقديسها والعصبيّة لها، حتّى لقد تجري على الألسنة والأقلام كثيراً كلمات: تقديس القانون، قدسيّة القضاء، حَرَم المحكمة، وأمثال ذلك من الكلمات التي يأبون أن توصَف بها الشريعة الإسلامية وآراء الفقهاء الإسلاميين. بل هم حينئذٍ يصفونها بكلمات الرجعيّة، الجمود، الكهنوت، شريعة الغاب)[23] .

---

[20] رسالة تحكيم القوانين .

[21] 3/441 .

[22] 4/82-83 .

[23] عمدة التفسير، 3/214 .

ويقـول: (إنّ الأمر في هـذه القـوانين الوضـعيّة واضح وضـوح الشـمس، هي كفـرٌ بـواحٌ لا خفـاء فيه ولا مـداراة، ولا عـذر لأحد ممن ينتسب للإسلام كائناً من كان في العمل بها أو الخضـوع لها أو إقرارها، فليحذر امرؤٌ لنفسه، وكلّ امرئ حسيب نفسه) [24] .

ويقـول الشـيخ محمّد حامد الفقي: (الـذي يُسـتخلص من كلام السلف : أنّ الطاغوت كلّ ما صرف العبد وصدّه عن عبـادة الله وإخلاص الدين والطاعة لله ولرسـوله، سـواء في ذلك الشـيطان من الجنّ الشياطين والإنس والأشجار والأحجـار وغيرهـا، ويـدخل في ذلك بلا شكّ: الحكم بالقوانين الأجنبيّة عن الإسـلام وشـرائعه وغيرها من كلّ ما وضعه الإنسـان ليحكم به في الـدماء والفـروج والأمـوال، وليبطل بها شـرائع الل ه، من إقامة الحـدود وتحـريم الربا والزنا والخمر ونحو ذلك ممّا أخـذت هـذه القـوانين تحللها وتحميها بنفوذها ومنفّذيها، والقوانين نفسها طـواغيت، وواضـعوها ومروّجوها طواغيت) [25] .

وهكـذا علمنا أنّ الشـرع الـذي تُحكم به بلاد المسـلمين هو شـرع طاغوتيّ وأنّ حكّامنا طواغيت كفرة، بل هم من أشدّ أنواع الكفّار وأغلظهم، فإنّ هؤلاء لم يحكموا بشريعة الشيطان فقـط، ولكنّهم صرّحوا بأنّ الله تعـالى ليس له الحـقّ في الحكم والتشـريع، فإنّه ما من دولة إلاّ وقد كتبت في دسـتورها: أنّ السـيادة للشـعب، والسـيادة في دينهم تعـني معـنى السـيّد في دين الله تعـالى وهو معنى الإله، فإنّ السيادة عندهم هي سلطة مطلقة لها الحـقّ في تقييم الأشياء والأفعال، أي هي سلطة التحليل والتحريم، وهذا هو معنى الحاكم وهو معنى الإله والمعبود كما تقدّم.

وأمّا الدول التي تزعم أنّها لم تكتب قانونـاً أو دسـتوراً وتزعم العمل بالكتاب والسنّة، فيقال لهم:

ما أشدّ كذبكم وتدجيلكم، فإنّ واقعكم هو واقع الدول الـتي كتبت دسـتورها وقانونهـا، فشـبهكم بهم هو شـبه الغـراب بـالغراب، ثمّ زعمتم أنّكم لم تجعلـوا السـلطات بيد الشـعب، ولم تقولـوا أنّ السـيادة لغـير الل ه، فها أنتم الآن كـوّنتم مجلس شـورى تغيـيراً للأسـماء فقط وانضـممتم بهـذا المجلس إلى اتّحـاد المجـالس الشـركيّة البرلمانيّة كبقيّة إخـوانكم، ثمّ ها أنتم تـدخلون في كـلّ مؤسّسة كافرة كالجامعة العربية وهيئة الأمم المتّحدة وغيرها، ثمّ كذلك أنتم فرضتم من الدساتير والقوانين الكافرة التي أبحتم بها ما حرّم الله وحرمتم بها ما أحلّ الله تعالى، وسمّيتم هذه بـالنظم -تغييراً للأسماء مع اتّفاق الحقائق- فأبحتم الربـا، فها هي البنـوك الربويّة مشرعة الأبواب، فيقال لكم بأيّ قانون تمّ الترخيص لهـذا العمـل، بل إنّ هـذه الدولة المزعومة هي الدولة الوحيـدة في العالم التي تمنع الترخيص لما يسمّى بالبنك الإسلامي.

وهكـذا أيّها السـائل الصـادق رأيت أنّ دولنا محكومة بحكومـات مرتدّة كـافرة وبحكّـام كفّـار مرتـدين وأنّهم شـرّعوا للنـاس دينـاً وأوجبوا على الناس الدخول فيه.

---

[24] السابق،4/174 .
[25] هامش فتح المجيد .

ثمّ إنّ هـؤلاء الحكّـام قد والـوا أعـداء الله تعـالى وعـادوا أهل الإسـلام: فما من حـاكم من هـؤلاء إلاّ وتـراه يقـرّب المشـرّكين ويـوادّهم ويناصـرهم ويـدافع عنهم، ولا يسـمح في بلـده قـطّ أن يشتم هؤلاء الكفّار أو أن يعلن أحد بغضهم، وفرضوا في قوانينهم من العقوبات الشديدة لمن سبّ هؤلاء المشركين أو لعن دينهم.

وإنّ من صور الموالاة والنصرة أنّهم عقـدوا معهم من التحالفـات العسكرية والأمنية مما جعلهم في دين واحد ومذهب واحـد، فـإنّ أعظم درجـات المـوالاة هي النصـرة قـال تعـالى: {يا أيّها الـذين آمنوا لا تتّخذوا اليهود والنصـارى أوليـاء بعضـهم أوليـاء بعض ومن يتولهم منكم فإنّه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين}.

قـال ابن جرير الطـبري في تفسـير الآيـة: (فـإنّ من تـولاّهم ونصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملّتهم، فإنّه لا يتولى متـــولٍ أحـــداً إلاّ وهو به وبدينه وما هو عليه راضٍ، وإذا رضـــيه ورضيَ دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه) [26].

وهكـذا علمنا كفر هـؤلاء الحكّـام من هـذا البـاب، فهـؤلاء الحكّـام مكّنوا للمشـركين واليهـود والنصـارى من بلاد المسـلمين، ثمّ من صـور المـوالاة الـتي وقع فيها هـؤلاء المرتـدّون هو الـدخول في طاعة المشركين، وذلك بالانقياد لهم واتّباع شـريعتهم والانضـمام إلى طوائفهم والتي هي المؤسّسات الـتي تـدين بـدين الشـيطان من مـذاهب إنسـانية كقـولهم: لا فـرق بين إنسـان وآخر حسب دينـه، فـدعوا إلى المسـاواة بين المسـلم والمشـرك تحت دعـوة المـذهب الإنسـاني الـذي نشـره اليهـود في هـؤلاء البهـائم والله تعـالى قد قطع مـوالاة المـؤمن للمشـرك وأوجب عليه بغضه وبغض دينـه، قـال تعـالى: {يا أيّها الـذين آمنـوا لا تتّخـذوا آبـاءكم وإخوانكم أولياء إن استحبّوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون}، ففي هـذه الآية قطع الله علائق المـوالاة بين المـؤمن وبين أبيه وأخيه الكـافر، فكيف بـالأجنبيّ؟ وفيها من بيان ضلال وكفر ما يُسمّى في بلادنا بـأخوّة المواطنة المزعومـة، فإنّ دساتير وقوانين البلاد التي حكمها هؤلاء المرتدّون تنصّ على المســاواة بين أهل البلد الواحد دون اعتبــار دينه وعقيدته تحت دعــوى المواطنة المزعومة فهم يقولــون: الــدين لله والــوطن للجميع، ومعنـاه أنّ قـانون المواطنة لا يفـرّق بين النـاس باعتبـار الدين والاعتقاد، فالمسـلم والكـافر عنـدهم سـواء والله جعل مَن والى كافراً مثله في الحكم، قال تعالى: {والـذين كفـروا بعضـهم أولياء بعض}. وإنّ مما أجمع الأنبياء على تبليغه للناس هو البراءة من المشـركين كما قـال تعـالى عن أبي الأنبيـاء إبـراهيم عليه السلام: {قد كانت لكم أسوة حسـنة في إبـراهيم والـذين معه إذ قـالوا لقـومهم إنّا بـرءاء منكم ومما تعبـدون من دون الله كفرنا بكم وبـدا بيننا وبينكم العـداوة والبغضـاء أبـداً حتّى تؤمنـوا بالله وحده}.

ثمّ انظروا إلى هؤلاء الملاعين ماذا فعلوا بالمسلمين والدعاة إلى الله: لقد علّقوا لهم المشانق وملـؤوا بهم السـجون وشـرّدوهم في الأرض، فما من دولة من هـذه الـدول إلاّ وقد ابتُلِيَ الـدعاة إلى الله تعالى فيها فسُـجنوا وعُـذّبوا وقُتّلـوا، وما نقمـوا منهم إلاّ أن يؤمنـــوا بالله العزيز الحميـــد، وأخرجـــوا الشـــباب من البلاد

---

[26] 6/277 .

لطهرهم كما قال تعالى على لسان قوم لوط: {أخرِجُوهم من قريتكم إنّهم أناسٌ يتطهّرون}.

فهؤلاء الحكّام خرجوا من دين الله تعالى من هذه الأبواب ومن غيرها، وهذا من العلم الضروري الذي يجب أن لا يجهله أحد من أهل الإسلام.

تَبِعَاتِ تكفير الحكّام

قال القاضي عياض: (أجمع العلماء على أنّ الإمامة لا تنعقد لكافر وعلى أنّه لو طرأ عليه كفر ينعزل.
قال: وكذا لو ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها).

وقد يسأل سائل: ما أهمّية هذا العلم، وهل من الواجب أن يُكفِّرَ المسلمُ هؤلاءَ الحكّامَ الطواغيت؟

فالجواب: نعم، فإنّه مما يجب أن يعلمه كلّ مسلم أن تكفير الكافرين الملحدين هو ركن من أركان عقيدة المسلم، وذلك لما يترتّب على هذا التكفير من الواجبات.

فإن سألت: ما هي هذه الواجبات؟

قلنا لك: إعلم أيّها الأخ الحبيب أنّ البراءة من هؤلاء الطواغيت هو فرض عين على كلّ مسلم، فقد تقدّم لك من الأدلة على أنّ من ركن الإيمان الركين والذي لا يصح إسلام المرء إلاّ به هو البراءة من هؤلاء الطواغيت ووجوب معاداتهم وبغضهم وعدم محبّتهم.

وممّا قاله أئمّتنا: إنّ تكفير الملحدين ضروريّة من ضروريّات الدين، وإنّ من مقتضيات هذه البراءة هو بغضهم وعدم محبّتهم وعدم الدخول في طاعتهم، فلا يجوز للمسلم أن يعاونهم أو أن يدخل في أيّ مؤسّسة من مؤسّسات نصرتهم وتقويتهم كالجيش والأمن والمخابرات، ومن يدخل من المسلمين في نصرتهم في هذه المؤسّسات فإنّه معرّض لقوله تعالى: {ومن يتولهم منكم فإنّه منهم} وهذا يعرّضه إلى ما أوجب الله على المؤمنين من معاداته ومقاتلته، قال تعالى: {الذين آمنوا يُقاتلون في سبيل الله، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت، فقاتلوا أولياء الشيطان إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً} وقال تعالى: {ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً}، وهذا حاكم كافر فيجب خلع ولايته وعدم طاعته.

وجوب قتالهم

ثمّ إعلم أنّ هذه البراءة توجب مقاتلة هؤلاء الحكّام، فإنّه إن كفر الحاكم وارتدّ عن شريعة الرحمن فإنه يُقاتل حتّى يُزال ويُقام بدلاً منه رجلٌ من أهل الإيمان. وهذا هو الواجب الثاني.

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: إلاّ أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان [27].

قال النووي: (قال القاضي عياض: أجمع العلماء على أنّ الإمامة لا تنعقد لكافر وعلى أنّه لو طرأ عليه كفر ينعزل. قال: وكذا لو ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها... قال القاضي: فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك، فإن لم يقع ذلك إلاّ لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر ولا يجب في المبتدع إلاّ إذا ظنّوا القدرة عليه فإنّ تحقّقوا العجز لم يجب القيام فيها وليهاجر المسلم عن أرضه إلى غيرها ويفرّ بدينه) [28].

وقال ابن حجر: (قال ابن التين: وقد أجمعوا أنّه -أي الخليفة- إذا دعا إلى كفر أو بدعة أنّه يُقام عليه. وقال ابن حجر: وملخّصه أنّه ينعزل بالكفر إجماعاً، فجيب على كلّ مسلم القيام في ذلك) [29].

فأنت ترى إجماع العلماء على أنّه لا يجوز للمسلم أن يرضى بحكم الكافر عليه، بل يجب أن تكون العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين -كما قال تعالى- وإنّ خضوع المسلم للكافر وأحكامه هي صور من صور الذلة التي لا تنبغي للمؤمن.

ثمّ إعلم حفظك الله أنّ حكم المرتدّ في ديننا -كما هو شأن هؤلاء الحكّام- أغلظ وأشدّ من حكم الكافر الأصلي. قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وكفر الردّة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي) [30].

وقال كذلك: (وقد استقرّت السنّة بأنّ عقوبة المرتدّ أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعدّدة، منها أنّ المرتدّ يُقتل بكلّ حال ولا يُضرب عليه جزية، ولا تُعقَد له ذمّة، بخلاف الكافر الأصلي الذي ليس هو من أهل القتال، فإنّه لا يُقتل عند أكثر

---

[27] متّفق عليه .
[28] شرح النووي على مسلم، 12/229 .
[29] فتح الباري: 13/123 .
[30] مجموع الفتاوى، 28/478 .

العلماء كأبي حنيفة ومالك وأحمد، ولهذا كان مذهب الجمهور أنّ المرتدّ يُقتل كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد، ومنها أنّ المرتدّ لا يرث ولا يناكح ولا تؤكل ذبيحته، بخلاف الكافر الأصلي إلى غير ذلك من الأحكام)[31] .

وقد أنكر الإمام أحمد عقد الذمّة للمرتدّ، ففي جامع الخلال: قال الأثرم: (سمعت أبا عبد الله يُسأل عن الزنادقة تُؤخذ منهم الجزية؟ فأنكر ذلك، وقال: لا بل تُضرب أعناقهم، ما سمعنا بهذا في الإسلام. ثمّ قال: سبحان الله؟! تُؤخذ الجزية من الزنادقة؟ منكراً لذلك جدّاً، قال الأثرم: وأظهر إنكار ذلك واستعظمه)[32] .

بل إنّهم رأوا في المرتدّ أن لا يُدفن:

قال إسحق بن منصور: (قلت لأحمد: المرتدّ إذا قُتل ما يُصنع بجيفته؟ قال: يُقال: يُترك حيث ضُرب عنقه كأنّما كان ذاك المكان قبره. يُعجبني هذا)[33] .

وقال ابن تيمية: (والصدّيق رضي الله عنه وسائر الصحابة بدؤوابجهاد المرتدّين قبل جهاد الكفّار من أهل الكتاب، فإنّ جهاد هؤلاء حفظ لما فتح من بلاد المسلمين وأن يدخل فيه من أراد الخروج عنه، وجهاد من لم يقاتلنا من المشركين وأهل الكتاب من زيادة إظهار الدين، وحفظ رأس المال مقدّم على الربح)[34] .

فواجب كل مسلم أن يجاهد هؤلاء حتّى يخلعهم ويزيلهم عن ولاية المسلمين، ويجب على المسلمين جميعاً أن ينشغلوا بإعداد أدوات الجهاد ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً من أجل إعادة سلطان المسلمين إلى هذه الأرض التي فتحها المسلمون بدمائهم، فجاء هؤلاء الحكّام الملاعين فغيّروا الملة والدين وبدّلوا الشريعة وأعادوا سلطان المشركين إليها.

ثمّ إعلم أنّ هؤلاء الحكّام مفسدون في الأرض بسبب ما هم عليه من البغض لهذه الأمّة، وبسبب حكمهم بشريعة الشيطان والله قد أمر المؤمنين بجهاد المفسدين في الأرض، قال تعالى: {إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفَوا من الأرض}.

وهؤلاء الحكّام اجتمع فيهم ما تقدّم من محاربة لله ولرسوله وذلك بالإعراض عن شريعة الإسلام وترك الخضوع لأحكام الكتاب والسنّة والإفساد في الأرض، فالواجب أن يقوم أهل الإسلام عليهم كلّ قيام حتّى تطهّرَ الأرض منهم.

وهذا الأمر يجب أن يكون اليوم قبل الغد، فإنّ كلّ يومٍ وكلّ لحظة تمرّ على أمّتنا وهم في سدّة الحكم يزداد شرّهم وتبتعد الأمّة عن دين الله تعالى، وذلك أنّهم، مع طوائف ومؤسّسات الفساد التي يديرونها، يجذّرون الفساد في المجتمعات وينشطوا بكلّ قوّتهم لأن يكون هو حياة الناس وثقافتهم وغذاؤهم، فليس الحكمة ما يزعم البعض بأنّ التأنّي خيرٌ من الإقدام في قتال

[31] مجموع الفتاوى، 28/534 .
[32] فقرة 1340 .
[33] السابق، فقرة 1301 .
[34] مجموع الفتاوى، 35/158-159 .

هؤلاء المبدّلين والمرتدّين، بل الصحيح إنّه كلّما تعجّل أهل السـنة والدعوة والجهاد في إزالة هؤلاء المرتدّين كلّما أحسنوا لأنفسـهم وأحسنوا لأمّتهم.

ألا تـرى أيّها الحـبيب مـاذا تصـنع وزارات الإعلام من بثّ سـموم الزندقة، ومن نشر العهر والرذيلة، ومن تحسـين الفجـور والزنـا، ومن الدعوة إلى المذاهب الشـركيّة الهدّامة من نفايـات العقـول وزبالتها؟

ثمّ ألا ترى ما تصـنع وزارات العـدل المزعـوم من تحليـل للحـرام وإباحة للفـروج ومن تضـييع للحقـوق وقلب الأمـور رأسـاً على عقب، فمن هو ذلك المرء الذي يطمئنّ إلى الوصـول إلى حقّه أو دفع الظلم عن نفسه عن طريق هذه المحـاكم الـتي تقـوم عليها وزارات العدل المزعوم؟

ثمّ ألا ترى المؤسّسات المالية التي تـديرها الدولة يقـوم كـلّ أمر من أمورها على الربا المحرّم، فلا يستطيع أحد أن يحفظ ماله إلاّ في البنوك الربويّة، ولا يستطيع أن يقوم بتجارته إلاّ عن طريقهـا، ثمّ هذه القـروض الـتي يزعمونها لتحسـين معيشة النـاس فهي لا تكون إلاّ عن طريق الفائدة الربويّة؟

ولا تنسَ أن تنظر وتتفكّر في نظم التـــأمين الإجبــــاري على ضروريّات الناس في هذه الحياة كالسيّارة وغيرها.

ثمّ ألا تـرى وزارة التربية والتعليم مـاذا صـنعت في جيل الشـباب الـذي تخـرّج من معاهـدها ومدارسـها، مـاذا علّمـوه وثقّفـوه وأيّ شيء من الإسلام اهتمّوا به لتربيته إياه وتعليمه؟

وها هي الأيّـام تزيد الأمر وضـوحاً وذلك بعد ما يسـمّى بالسـلام المزعـوم مع إخـوان القـردة والخنـازير، حيث أزالـوا كـلّ آية أو حديث أو خبر فيه بيان عداء المسلم لأعـداء الملّة والـدين، وكيف بـدؤوا ببثّ ما يسـمّى بـالتطبيع والـذي هو حقيقة تـدمير لعقيـدة الـولاء والـبراء والـتي لا يصحّ إسـلام المـرء إلاّ بها كما تقـدّم. ثمّ انظر إلى بقيّة معاهد التعليم كالجامعات والمعاهد العليـا، وقـارن بينها وبين ما أمر الله تعـالى، تـرى حقيقة هـذه المؤسّسـات والدوائر الـتي يفرضـها هـؤلاء الطـواغيت وأعـوانهم بكـلّ وضـوح وجلاء.

فهل بقي للمسـلم عـذرٌ في عـدم القيـام على هـؤلاء الحكّـام وقتالهم، والله تعالى يقول: {وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكـون الدين كلّه لله}. فهل الدين في بلادنا لل ه، أم أنّه في أغلبه لغـير الل ه، وفيه القليل الذي يزعمون أخذه من الشريعة الإسلامية؟

فإذا كان بعض الدين لله والآخر لغيره وجب القتـال والجهـاد حتّى يكون الدين كلّه لله سبحانه وتعالى.

الخاتمة

إنّنا نجاهد أيّها الأخ الحبيب لأنّ الجهاد هو الطريق الوحيد لعودة الأمّة إلى عزّتها ورفعتها، وذلك كما قال صلى الله عليه وسلم: (إذا تبايعتم بالعينة واتّبعتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد في سبيل الله سلّط الله عليكم ذلاً لا يرفعه حتّى تعودوا لدينكم)، والدين ها هنا هو الجهاد كما هو ظاهر من سياق وسباق الحديث.

إنّنا نجاهد لأنّ الجهاد هو الحياة كما قال تعالى: {استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم}، وفسّر العلماء الحياة هنا بالجهاد.

أمّا إذا قيل لك: اصبر!

فاعلم أنّ الصبر على الذلّ والخزي والعار لا يرضاه الله للمسلمين، فإنّ الله تعالى يقول: {ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين}، وقال تعالى: {ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً}.

وإذا قيل لك: أنّ الجهاد فتنة!

فقل له ما قاله تعالى لأمثاله: {ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين}، وكيف يكون الجهاد فتنة وبالجهاد تُزال كلّ فتنة كما قال تعالى: {وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة}.

وإذا قيل لك: إنّ الجهاد فيه الموت!

فقل له: ما جاهدّت إلاّ لأموت، فإنّ الموت في الجهاد شهادة في سبيل الله وهذا الذي نطلب. قال تعالى: {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً}. وقال تعالى: {ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربّهم يرزقون}.

وإن قيل لك: أنت في هذا الطريق وحدك وليس لك من معين، والناس في شغل عنك بأموالهم وأهليهم!

فقل لهم: هذا هو شأن أهل الحقّ في كلّ زمان، أنّهم غرباء. والله تعالى يقول: {فقاتل في سبيل الله لا تُكلّفُ إلاّ نفسك وحرِّضِ المؤمنين}.

قال الإمام القرطبي في تفسيرها: (هي أمرٌ للنبيّ بالإعراض عن المنافقين وبالجدّ في القتال في سبيل الله وإن لم يساعده أحد على ذلك)[35].

[35] الجامع لأحكام القرآن، 5/293 .

وهــذه أيّها الأخ المحبّ كلمــات يســيرة للتعريف بهويّتنا وتجيبك سريعاً على سؤالك:
من نحن وماذا نريد ولماذا الجهاد في سبيل الله.

فهلاّ حملت معنا هـذه الأمانة ولم تظلمها بعد أن علمتهـا؟! قـال تعالى: {وسارعوا إلى مغفـرة من ربّكم وجنّة عرضـها السـموات والأرض أعدّت للمتّقين}.

والحمد لله رب العالمين